قالوا إنا لا نقوى على صحبة الناس وإنما أعطاك الله قوة فيلزمك ذلك فصنف بعد ذلك
كتابه الجامع الجلي والخفي وكان له رضي الله عنه مع زيادة علمه العمل الجم والنظر الدقيق
في سلوك طريق الآخرة فاعلم أن مثل هذا الرجل المحتاج إليه في باب الدين يحتاج في صحبة
الخلق إلى أمرين شديدين أحدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة
بالله دائمة والثاني أن يكون في هذا المعنى معرضا عنهم وإن كان بالشخص معهم
فإن كلموه كلمهم وإن زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وإن سكتوا عنه وأعرضوا اغتنم
ذلك منهم وإن كانوا في خير حق ساعدهم وإن صاروا إلى لغو وشر خالفهم وهاجرهم
بل رد عليهم وزجرهم إن رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات
وقضاء الحاجات التي ترفع إليه ما أمكنه ولا يطالبهم بالمكافآت ولا يوجد ذلك منهم ولا
يريهم من نفسه استيحاشا لذلك ويباسطهم بالبذل إذا قدر وينقبض عنهم في الأخذ إن
أعطي ويحتمل منهم الأذى ويظهر لهم البشر ويتجمل لهم بظاهره ويكتم حاجاته عنهم فيقاسيها
ويعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك إلى أن ينظر لنفسه خاصة فيجعل لها حظا
من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن نمت الليل لأضيعن نفسي وإن
نمت النهار لأضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين هاتين وفي هذا المعنى عرض لي أبيات
من الشعر فإن كنت في قدر الأئمة راغبا فوطن على أن تتلك الوقائع بنفسي وقوي
عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر مانع لسانك مخزون وطرفك ملجم وسرك
مكتوم لدى الود ذائع وذكرك مغمور وبابك مغلق وثغرك بسام وبطنك جائع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد وفضلك مدفون وضعفك شائع وفي كل يوم أنت جارع غصة
من الدهر

من الدهر مشوب بالحسرات والقلب طائع فهذا لك شغل الناس من خير منة ولليلك شوق غاب عنه الطالع
[illegible] هذا الليل جنة ذريعة ليوم عبوس عز فيه الذرائع نعم فالنفس معهم والقلب ما أبعده
ذلك لعمري أمر شديد وعيش نكد وفيه يقول شيخنا رحمه الله في وصيته يا بني عش مع أهل زمانك
[illegible] بهم ثم قال ما أشد هذا العيش مع الأحياء والاقتداء بالأموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالط
الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه تتمة مقنعة ثم أقول إذا مالت الفتن بعضها في بعض وتراجع
الأمر وولى الناس عن أمر الدين مدبرين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ولا يطلبون عالما
ولا يعرفون معيدا ولا يعنيهم أمر الدين البتة وترى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة
فللعالم العذر في العزلة والتفرد ودفن العلم وأخاف أن ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد
الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهم فإن
الغلط فيه عظيم وضرره كبير وبالله التوفيق **فإن قيل** أليس النبي يقول
عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة وإن الشيطان ذئب الإنسان يأخذ الشاذة والناحية
والقاصية وقال إن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد **واعلم** أن هذه وردت
وورد أيضا الزم بيتك وعليك بخاصتك وأمر بالعزلة والتفرد في الزمان السوء ولا تناقض في قوله
صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الحديثين بحول الله وتوفيقه فأقول قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة
يحتمل ثلاثة أوجه **أحدها** أنه يعني به في الدين والحكم إذ لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة فمن خرق
الإجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الأمة والشذوذ عنهم باطل وضلال وأما أن يعتزل عنهم
لصلاح في دينه فليس هذا من ذلك في شيء **والثاني** عليكم بالجماعة بأن لا تنقطعوا
عنهم في جمعهم وجماعاتهم ونحوها فإن فيها قوة الدين وجمال الإسلام وغيظ الكفار والملحدين

Copyright © King Saud University